# من قال يسوع انه هو؟

## تأليف: تومي ثاوس

حضرتُ ذات مرة محاضرة من قبل باحث شهير في العهد الجديد حول موضوع «هل كان يسوع الله؟». القاعة كانت مكتظة بالناس المتشوقين إلى سماع أفكار ذلك الرجل العظيم عن مثل هذا السؤال الحاسم. فبدأ بالقول انه لكي نجيب على هذا السؤال يجب أولاً أن لا نضع في الاعتبار كل ما ورد بإنجيل يوحنا، إذ أن إنجيل يوحنا هو الإنجيل الأكثر تشدداً على طبيعة يسوع الإلهية. ثم قال بعد ذلك، ينبغي أن نتغاضى عن أي تعابيير أخرى أو غيرها من المؤشرات في العهد الجديد التي قد تشير إلى يسوع الإلهي، إذ انه من الواضح أن هذا كان من الأشياء التي ابتكرتها الكنيسة المبكرة ولم ترجع إلى يسوع نفسه. ومن ثم طرح السؤال التالي على المستمعين: «هل كان يسوع الله؟» كان باستطاعة المتحدث أن يصل إلى خلاصة واحدة فقط. إذ بدأ المتحدث بمثل هذه الافتراضات السلبية وإقصاء كل الأدلة عكس ذلك، وجد بالطبع الإجابة السلبية التي كان يطلبها.

من إحدى المسائل التاريخية الكبيرة حول شخصية يسوع الناصري لها صلة بمفهومه عن نفسه: من قال يسوع انه هو؟ هذا السؤال مختلف عما إذا انه كان ما يدعي به. يوجد هناك دائماً المنتقصون الذين ادعوا بانه لم يكن مسيا إسرائيل، ابن الله، والله في الجسد. الاستنكار المؤخر بان يسوع لم يكن أي من تلك هو استنكار مختلف. الادعاء الآن هو انه لم يقل أبداً انه قام بأي من هذه الأدوار ولم يرى نفسه بهذه الطرق. قد تسأل إذن: من أين أتت مثل هذه المفاهيم كالتي تم التعبير عنها في الأناجيل؟ الإجابة التي أعطيت هي أن هذه هي الأفكار التي أصبحت الكنيسة تؤمن بها عن يسوع في وقت لاحق، لهذا كتبوها في الأناجيل لجعلها تبدو وكأنها ما قالها يسوع أيضاً. أي بعبارة أخرى، ان ما يقوله هؤلاء المنتقدون ان يسوع لم يعمل أبداً أي من الأشياء التي قيل بانه عملها كما ورد في الأناجيل، ولم يدعِ أبداً بانه كان ما جعلته المسيحية أن يكون في وقت لاحق.

الأناجيل هي المصدر الأساسي للمعلومات عن يسوع، كما هي مصدر أي شيء آخر عنه. يستخلص الذين لا يقبلوها كمصدر موثوق به أنه لا يمكننا أن نعرف أي شيء تقريباً عن يسوع. وهذا يجعله قابل لكل أنواع التفاسير. يبدأ المفسرون الذين يتخذون هذا النهج بفكرة مسبقة عمن كان يسوع، ويفتشون الأناجيل لإزالة كل ما لا يتناسب مع صورته التي سبقوا ورسموها. هكذا كان الحال بالتأكيد مع جماعة «سمينار يسوع» الذين بدأوا بحثهم في أقوال يسوع قائلين انهم ســ«يحررون يسوع» من الكنيسة وما أصبحت تؤمن به عنه[١]. ولكن «يسوع» الذي وصفوه يختلف تماماً عن يسوع الذي تم تصوره في العهد الجديد.

يميل الناس دائماً إلى رؤية الأدلة في اتجاه ما يعتقدونه مسبقاً. لكل منا تصوره. وهذه الافتراضات تجعلنا عادة نقبل أو نرفض الأدلة وفقاً لذلك. بينما يدعي البعض بانهم موضوعيين تماماً، إلا أن هذا مستحيل. نحن جميعنا لدينا وجهات نظر خاصة، وتكون خاصة عندما يتعلق الأمر بشيء هام كهوية يسوع المسيح. بما اننا لا نقدر أن نكون «بلا افتراضات»، أفضل ما يمكن أن نعمل هو أن نكون صادقين بخصوص افتراضاتنا، بدلاً من الادعاء بالموضوعية التامة والتكلم كما لو كانت وجهة نظرنا للأدلة ليست بها مشاكلها الخاصة بها.

كما قلتُ سابقاً، أني أقبل الإنجيل كمصدر معلومات موثوق به عن يسوع—ليس على أساس الإيمان فحسب، بل أيضاً بما يختص بالتاريخ. الذين يفكرون عكس ذلك عليهم أن يقدموا الأدلة التي تثبت غير ذلك. لقد أثبتت سجلات الإنجيل مراراً وتكراراً بانها صحيحة تاريخياً وواقعياً. إذن لماذا يجب أن نظن بانها غير

---

[١] آر دبلو في كتابه بعنوان «Honest to Jesus»، صفحة ٣٠٠. وقد ظهر نقد هذا النهج في كتاب جيمس دي جي دون بعنوان «A New Perspective on Jesus: What the Quest for the Historical Jesus Missed»، صفحتي ٢١ و٢٢.

صحيحة في ما تقول عن إدعاء يسوع عن نفسه؟ إن كنا نؤمن بتلك الأقوال أم لا، فيكون ذلك شأن آخر. انه من المهم أن نفهم أن المعلومات التاريخية بحد ذاتها لا تؤكد ولا تنفي الإدعاءات الروحية. فلنسمح للأدلة أن تتحدث عن نفسها.

على سبيل المثال، الطريقة التي بدأ بها لوقا إنجيله تبين أنه كان يكتب كمؤرخ واعي، فحص المعلومات المتاحة لديه وقدمها لمنفعة شخص ما اسمه ثاوفيلس. استمع إلى الكلمات التمهيدية التالية:

> إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ (لوقا ١: ١-٤).

استمر بولس بعد ذلك إفتتاحية إنجيله بإشارة تاريخية: «كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ ...» (الآية ٥). أرجو أن تتذكر السياق التاريخي الوارد في إنجيل لوقا ٣: ١ و٢. لم ترد عبارة «كان في القديم الزمان ...» في كتابته.

هذه المقدمة لإنجيل لوقا هامة من عدة نواحي. لقد قام لوقا بواجبه. كان يدري بمحاولات الـ«كثيرون» للكتابة عن يسوع. ونعرف انه قرأها، إذ قال أن ما يكتبه كان «عَلَى التَّوَالِي». (ما الذي كان يعتبره «ليس على التوالي»؟ لا نعلم. ولا نعلم أيضاً ما هي تلك الكتابات الأخرى. على ما يبدو، لم يكن يشير إلى إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا، إذ أن إنجيل لوقا يوازي إنجيلي متى ومرقس بشكل وثيق، ولم يكن إنجيل يوحنا قد كُتب بعد، حسب الكثير من التقديرات). وأيضاً، اعترف لوقا بصدق انه لم يكن شاهد عيان لهذه الأحداث، ولكن كما يتضح انه تحدث مع الذين كانوا شهود عيان. قال بخصوص الأحداث التي كان يكتبها «... سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ» (لوقا ١: ٢). انتبه إلى هدف لوقا المعلن من كتابة إنجيله: «**لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ** الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ» (لوقا ١: ٤). لا نعلم يقيناً سواء كان ثاوفيلس مسيحياً {آنذاك} أم لا. كان له بعض المعرفة عن المسيحية، ولكن يتضح أن لوقا أعتبر أن تلك المعرفة لم تكن كافية بطريقة ما. فأراد أن يقدم لثاوفيلس الحقائق. يتضح بجلاء أن لوقا أراد أن يخبر **بما حدث** (راجع أعمال ١: ١). وكل من يشك في هذا يحمل عبء الإثبات أن لوقا إما كان يكذب أو كان مخطئاً.

قد يقال الشيء نفسه عن الأناجيل الأخرى، مع انها لا تعبر عن أهدافها التاريخية بوضوح كما يفعل إنجيل لوقا. لا يسرد أي منها قصة يسوع في فراغ تاريخي. قبلتها الكنيسة المبكرة جميعها كأحداث حقيقة عمن كان يسوع وما عمل. إذا كان علينا أن نتغاضى عن ألفين سنة تقريباً من إيمان المسيحيين بهذه الأحداث، يجب أن نقدم شيء أفضل من الادعاء بالموضوعية (والعلم بكل شيء) بينما نحرم هذا عن كُتَّاب الأناجيل، الذين عاشوا في وقت قريب جداً من تلك الأحداث وكانوا شهود عيان أو تحدثوا إلى شهود عيان.

## ملك اليهود وممثل إسرائيل الحقيقي

بعض من إدعاءات يسوع لم تكن شفهية، ولكنها واضحة في أشياء محددة عملها ليكشف عن هويته في صلة مع عدة وعود من العهد القديم. قد تُعْتَبَر هذه الأشياء كـ«أمثال معمولة فعلياً».

على سبيل المثال، ورد بإنجيل مرقس ٣: ١٣-١٩ سجل بتعيين يسوع لاثني عشر رسولاً (مع انه لم يتم تسميتهم هكذا في الأصحاح ٣ من إنجيل مرقس). تعترف جميع الأناجيل الأربع بانه كان ليسوع مجموعة من أقرب المقربين إليه تتكون من اثني عشر تابع، بالإضافة إلى كثيرين آخرين، وبانه قضى الكثير من خدمته العامة يعلم هؤلاء الرجال ويدربهم ليتولوا زمام القيادة حالما يغادرهم جسدياً. هل تساءلت قط لماذا اختار اثني عشر؟ لماذا لم يختر عشرة أو عشرين أو أي عدد آخر؟ يقول أعمال الرسل ١: ١٥-٢٦ انه بعد صعود يسوع إلى السماء اختار باقي التلاميذ (وكان عددهم ١٢٠) متياس ليحل محل يهوذا الاسخريوطي الذي تخلى عن دوره الرسولي. تم المحافظة على العدد «اثني عشر». ولكن عندما بدأ الاثني عشر الأصليين يموتون (كما ورد في أعمال الرسل ١٢: ١ و٢ ابتداءاً

بموت يعقوب)، لم يُحل محلهم كما تم إحلال محل يهوذا. يبدو أن هناك شيء هام عن العدد اثني عشر.

يتضح بجلاء أن يسوع اختار اثني عشر رجلاً ليقودوا شعب الله الجديد (والكنيسة في ما بعد)، كما تم قيادة الشعب الإسرائيلي من قبل الأباء الاثني عشر (أبناء يعقوب الاثني عشر)، كل منهم رأس سبط[٢] معين. من الواضح أن يسوع رأى نفسه ك «إسرائيل جديد»؛ لهذا كان من الضرورة أن يكون هناك اثني عشر قائد رسمي لذلك. (راجع سفر الرؤيا ٢١: ١٢-١٤ المعلومة عن هذا التفسير؛ تأمل أيضاً في أهمية العدد «اثني عشر» ومضاعفاته على صفحات سفر الرؤيا كرمز لشعب الله).

إذا كان يسوع قد اختار الرسل الاثني عشر كقادة إسرائيل الجديدة، يكون يسوع قد رأى نفسه كملك جديد. بما انه كان قد فكر بهذا حقاً، هذا دليل آخر بالطريقة التي دخل بها إلى أورشليم. يقول إنجيل متى ٢١: ١-٥ انه دخل إلى المدينة على حمار. نادراً ما تكون هذه الطريقة التي يدخل بها الملك إلى عاصمته! ما الذي كان يفعله يسوع آنذاك ولماذا؟ يوضح متى بالحديث عن التحضيرات المعينة التي تم القيام بها ليسوع كي يمتطي هذا الحيوان المعين انه لم يكن مجرد تفصيل عرضي. يتضح السبب عند مقارنة هذا النص مع سفر زكريا ٩: ٩:

> اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ!
> اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ!
> هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ.
> هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ،
> وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ
> وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ.

كان اختيار يسوع لوسيلة المواصلات هذه للدخول إلى المدينة المقدسة هو تتميم للوعد بهذه النبوءة عن ملك إسرائيل القادم. بدخول يسوع إلى المدينة بهذه الطريقة، كان يعبر على انه ذلك الملك.

---

[٢] سبط: قبيلة (ج: أسباط/قبائل).

هل قال يسوع شيء يؤكد هذا التصور له كملك إسرائيل وممثله القومي؟ اقرأ ما ورد في إنجيل مرقس ١٠: ٤٢-٤٥:

> فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا، يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ».

تشير الجملة الأخيرة من النص اعلاه إلى أن يسوع رأى نفسه مثل «العبد المتألم» (الذي يضع حياته فدية لآخرين) الذي تم الحديث عنه في «أنشودة العبد» الواردة في سفر إشعياء ٤٩: ١-٤ و٥٢: ١٣ إلى ٥٣: ١٢. تأمل أيضاً في إشعياء ٤٩: ٣ حيث يقول: «أَنْتَ عَبْدِي إِسْرَائِيلُ الَّذِي بِهِ أَتَمَجَّدُ». في هذه الآية وُصِف العبد بانه الأمة نفسها على الأقل. لم يقل انه ملك إسرائيل فحسب، بل أيضاً ممثل إسرائيل الحقيقي.

## المسيا

كما قلنا سابقاً، كلمة «مسيا» هي من كلمة عبرانية «מָשִׁיחַ» معناها «الممسوح/المسيح». في زمان العهد القديم كان يتم مسح الملوك والأنبياء والقضاة ليقوموا بخدمة معينة لله. وفي ما بعد أصبح هناك اعتقاد بانه سيأتي مسيا فريد، ينقذ إسرائيل بكاملها من كل ضيقاتها. ويوجد مصدر هذا المعتقد في الأصحاح ٧ من سفر صموئيل الثاني، والذي يخبرنا برغبة الملك داود لبناء بيتاً لله. استجاب له الله بواسطة نبي اسمه ناثان بانه لا يحتاج داود أن يبني له بيتاً ولم يكن قد طلب بيتاً.بل قال الرب انه هو الذي يبني بيتاً لداود. لم يكن الله يقصد مسكناً، بل نسلاً، سلسلة نسل (مثل الحديث عن «بيت ويندسور» بمعنى سلسلة الحكام في العائلة الملكية). سيجلس هؤلاء الناس على عرش إسرائيل إلى الأبد، ابتداءاً مع «نسل» داود. وهذا «النسل» تم تعريفه أكثر ليس كابن داود فحسب، بل أيضاً كابن الله. قال الله: «... وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ. أَنَا أَكُونُ لَهُ

أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا ...» (٢ صموئيل ٧: ١٣ و١٤). لكان كل هذا يتحدث عن سليمان ابن داود الوريث له. ولكن بعد ذلك بدأ الله يستخدم العبارة «إلى الأبد». بعض الوعود التي قطعت هنا يأتي تتميمها في زمان حكم سليمان. تبدو انها تشير إلى شخص أخر في المستقبل. كان ذلك «الشخص الأخر» هو مسيا إسرائيل الآتي. خلال الأزمنة الأكثر ظلاماً في تاريخ إسرائيل، كان الاشتياق إلى مجيء المنقذ يمد الشعب بالرجاء أن الله سيرسل هذا «الممسوح/المسيح» ليفدي شعبه.

كيف يتم تصور يسوع في هذا؟ أولاً، يُسمى يسوع مراراً وتكراراً في العهد الجديد بـ«يسوع المسيح». وكلمة «المسيح» هنا مترجمة من الكلمة اليونانية «كريستوس χρηστός» وهي نظير الكلمة العبرانية «مسيا מָשִׁיחַ» (ومعناها «الممسوح»). عندما أسمى كُتَّاب العهد الجديد يسوع بـ«يسوع المسيح» لم يكن ذلك اسمه واسم العائلة («الاسم الاخير»). اسمه الشخصي يسوع، وكان يقال عنه انه مسيا إسرائيل المنتظر.

سأل يسوع تلاميذه ذات مرة في مناسبة هامة جداً، كما ورد في إنجيل متى ١٦: ١٣-١٧عمن يظن الناس انه هو. فأجابوه قائلين: «قَوْمٌ: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا، وَآخَرُونَ: إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ». لا تحط أي من هذه التعريفات بالهوية، بل تعكس التقدير الكبير الذي يقدر به الشعب يسوع خلال خدمته في الجليل. ومع ذلك، انها لم تكن الحقيقة كلها. فسألهم يسوع أيضاً: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» بعد ما صار معهم لفترة من الزمان، ماذا كانوا يظنون عنه؟ ما هي الخلاصة التي توصلوا إليها؟ بينما كان من المهم بطبيعة الحال ما يظن الناس الآخرين عنه، إلا انه كان ذو أهمية كبرى ما يظنه الرسل عنه. تكلم بطرس نيابة عن المجموعة وقال: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!». كان الاثني عشر قد استخلصوا أن يسوع كان بالحقيقة مسيا إسرائيل المنتظر. أجاب يسوع قائلاً: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». لاحظ أن يسوع اتفق مع كلام بطرس عن هويته، وقد استخدم كلمة «أبي» للإشارة إلى الله، مصدقاً وعد الله لداود.

وكانت بهذا القدر من الأهمية أيضاً المناسبة التي سُئِل فيها يسوع مباشرة أثناء استجوابه من قبل السلطات اليهودية: «هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الله؟» لقد ورد هذا السؤال أو شكل من أشكاله في جميع الأناجيل الثلاثة المتشابهة المحتوى: (متى ٢٦: ٦٣ و٦٤؛ مرقس ١٤: ٦١ و٦٢؛ لوقا ٢٢: ٦٧-٧١). إجابة يسوع على هذا السؤال حسب إنجيل متى هي: «أَنْتَ قُلْتَ! ...». وبحسب إنجيل مرقس: «أَنَا هُوَ ...». وحسب إنجيل لوقا: «أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ». بالنسبة لنا قد لا يبدو كل هذا كإجابة واحدة، ولكن في كل من هذه الأمثلة اعتبر قادة اليهود أن يسوع أجاب بـ«نعم». ربما يجعل الفرق هنا هو لأن يسوع كان يتحدث بالأرامية. وأعاد كل كاتب إنجيل صياغة كلامة باليونانية. ربما كان يسوع يعترف بألوهيته ولكن تعمد في عدم توضيح إجابته، إذ كان يعرف أن ما قصده بذلك ليس ما قصدوه. ربما كانوا يقصدون بسؤالهم شيء مثل: «هل تقول انك المنقذ السياسي العسكري الذي ننتظره؟» بالحقيقة كان يسوع يقول انه ذلك الشخص الموعود به، ولكن بمفهوم أخر؛ انه سيخلص شعبه من عدوهم الأكبر، أي الخطيئة، وبدون الأبواق الملوكية والقوة العسكرية.

ورد إدعاء أخر واضح بالمسيانية في إنجيل لوقا ٤: ١٦-٢١. حدث ذلك عندما كان يسوع في مجمع بمدينته الناصرة. وعندما حان الوقت لقراءة النص من الأنبياء، قام يسوع ووقف ليقرأ. فأعطي له لفيفة إشعياء النبي، ففتحه يسوع ليقرأ منه:

رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ،
لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ،
أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِري الْقَلْبِ،
لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ،
وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ.
لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ ... .
(إشعياء ٦١: ١ و٢).

كان اليهود يعتبرون هذا النص نبوءة عن المسيا المنتظر. ما حدث بعد ذلك غير مجرى الحدث: «فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ»

(لوقا ٤: ٢١). أي بعبارة أخرى، كان يسوع يقول أن العصر المسياني قد بدأ به هو نفسه، وبانه كان بالحقيقة الشخص الذي تم التنبوء به في النبوة؛ كان روح الرب الإله عليه، وهو الذي سيبشر المساكين.

## ابن الإنسان

لم نذكر بعد أي من النصوص التي قال فيها يسوع جهراً انه المسيا، مع اننا قد رأينا انه هكذا كان يعتبر نفسه. بحسب الأناجيل المتشابه المحتوى[٣]، كان يسوع يفضل أن يسمي نفسه بـ«ابن الإنسان». كان ذلك اللقب غامضاً بعض الشيء. كان الحديث عن الشخص بانه «ابن ...» هو طريقة عبرية نموذجية للإشارة إلى الشخصية. على سبيل المثال، سُمِيَ يهوذا الاسخريوطي بـ«ابن الهلاك» (يوحنا ١٧: ١٢) لأنه وقف مدان بسبب خيانته ليسوع. كان واحداً من مرافقي بولس الرسول شخص اسمه برنابا، ومعناه «ابن الوعظ»[٤] (أعمال ٤: ٣٦)، ومن الواضح لأنه كان شخص مُشجِّع لبولس ولآخرين. ربما كان «ابن الإنسان» معناه ببساطة «يشبه الإنسان» أو «بشري». قد نكتفي بهذا، ولكن سفر دانيال ٧: ١٣ و١٤ يدل على انه لا يجب أن نكتفى بهذا. تحدث دانيال عن رؤيا رأى فيه «مثل ابن إنسان»:

«فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا،
لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ.
سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ،
وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ».

لا تعني عبارة «ابن الإنسان» في هذا النص مجرد «بشر». لهذا كان بعض اليهود يؤمنون أن عبارة «ابن الإنسان» هي صفة أخرى للمسيا. عندما أسمى يسوع نفسه «ابن الإنسان»، ربما هذا جعل الناس يتساءلون ماذا كان يقصد بالضبط. يبدو أن هذا ما كان يريده يسوع. كان ذلك لقب يدل على الاحتمال انه قد يكون المسيا دون أن يصرح بذلك جهراً.

لماذا لم يقل «أنا هو المسيا»؟ كان له سبب مقنع لذلك. كان لليهود في القرن الأول الميلادي عدة أفكار عمن يكون المسيا وما يعمل. وتتركز معظمها على فكرة قائد عسكري كان سيطيح بروما ويعيد تأسيس إسرائيل ككيان سياسي. يكون بالحقيقة «ابن داود» بمفهوم انه ملك مقاتل عظيم، كما كان داود. لو كان يسوع قد استخدم لهجة مسيانية علنية عن نفسه، أو لو كان قد شجع الأخرين أن يفعلوا ذلك، لكانت التداعيات السياسية قد بلغت أقصى حد. ولكنه كان يفضل تفادي مثل هذا السيناريو. كان اليهود الساخطين واليائسين مستعدين لإتباع أي شخص تقريباً يقول انه المسيا، ولكن لم تكن ليسوع رغبة في إثارة الثورة. لم يكن ذلك هدف مجيئه إلى الأرض. وأيضاً، لم يكن ذلك هدف مهمته. ولم يرد أيضاً أن يستخدم تلاميذه مثل هذا المصطلح حتى يفهمواعلى الأقل ما كان يقصد. ورد في إنجيل متى ١٦: ٢٠ و٢١ مباشرة بعد تحديد بطرس لشخصية يسوع ما يلي: «حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلاَمِيذَهُ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ». لماذا؟ لأنهم لم يفهموا بعد المعنى الحقيقي للمسيا أو نوع المسيا الذي جاء ليكون. ورد بعد ذلك: «مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ». كان من الأفضل أن لا ينادوه المسيا حتى يفهموا انه كان ينبغي لهذا المسيا أن يتألم ويموت وليس أن ينتصر ويقتل أعداءه.

يتناسب كل هذا تمام التناسب مع ما نعرف عن توقعات اليهود السياسية والمسيانية في زمان يسوع. يتضح بجلاء أن يسوع كان يؤمن بانه المسيا؛ وقد قال هذا بطرق غير مباشرة، رغم انه كان يفضل أن يسمي نفسه «ابن الإنسان».

## ابن الله

عندما أجاب بطرس على سؤال يسوع الوارد في إنجيل متى ١٦: ١٦، كانت إجابته ثنائية: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ!». هكذا أيضاً قال رئيس الكهنة ليسوع عند محاكمته لدى السلطات اليهودية:

---

[٣] الأناجيل المتشابه المحتوى: الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا).

[٤] ابن الوعظ: ابن التشجيع.

«أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» (متى ٢٦: ٦٣). أجاب يسوع في كل حالة بكيفية تؤكد انه المسيا وابن الله على حد سواء.

لنذهب إلى أكثر من هذا، إي إلى إنجيل متى ١١: ٢٥-٢٧، حيث يقول:

> فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ. كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ».

أسمى يسوع الله «أيها الآب» وقال انه وحده الذي يكشف عن الله. هناك نص ذو صلة بهذا، وهو إنجيل يوحنا ٥: ١٦-١٨. كان يسوع قد شفى رجل أعرج قبل ذلك الوقت بقليل وكان يُحاكم من قبل السلطات اليهودية بسبب العمل (أي شفاء) في السبت. استجاب يسوع لهذه الشكوى بقوله: «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». هذا تصريح آخر عن البنوة. والأكثر وضوحاً هو ما يلي:

> فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ (الآية ١٨).

فهم اليهود أن كلام يسوع بانه ابن الله معناه انه كان يعادل نفسه بالله. وفي ما بعد أدلى يسوع بهذا التصريح الصارخ: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ٣٠). مع أن هذا ليس كما يقال أحياناً أن يسوع والله هما الكيان نفسه، إلا انه يقال بانهما على المستوى نفسه وهما واحد في الهدف—أن ما ينطبق على أحدهما ينطبق على الآخر أيضاً.

قال يسوع انه ابن الله. ماذا يقصد بالضبط؟ إن عبارة «يسوع هو ابن الله» هي من إحدى اعترافات الإيمان المسيحي الأكثر شيوعاً، ولكن هل وقفنا قط للحظة لنتساءل عما تخبرنا به هذه العبارة؟ وبصفة خاصة، ماذا قصد بها يسوع؟ أولاً، انها تشير إلى علاقة فريدة بين يسوع والله. يُسمى الناس أحياناً أو الملائكة في الكتاب المقدس بانهم «أبناء الله» بمفهوم عام؛ ولكن من الواضح أن يسوع كان يقول أكثر من ذلك. وإلا لما كان خصومه قد انزعجوا منه إلى هذا الحد. يقول إنجيل يوحنا ٣: ١٦: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ». الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «الوحيد» (مونوقينس، μονογενής) تعني شيء مثل «فريد من نوعه»، «واحد فقط بلا نظير». عندما أسمى يسوع نفسه بـ«ابن» الله عبر بذلك عن علاقة فريدة من نوعها مع الله.

ثانياً، إن عبارة «ابن الله» تنطوي على الأقل على انه في مستوى واحد مع الله. وهذا واضح من كلام يسوع نفسه («أنا والآب واحد») وأيضاً من رد فعل الذين سمعوه يتكلم بذلك (ورأوا انه كان يجعل نفسه «معادلاً بالله»). الادعاء بالبنوة هو الادعاء بالألوهية نفسها. لم يكن يسوع يقول فقط: «لي علاقة حميمة مع الله». بل يبدو انه كان يقول: «أنا والله من الجوهر نفسه؛ نحن واحد». هذا يوضح السبب من كلام يسوع بان له سلطان ليغفر الخطايا (مرقس ٢: ٥-٧)، مشيراً إلى انه سيقف كل شخص أمامه في يوم ما في الدينونة (راجع متى ٧: ٢٢ و٢٣)، وطالباً كل الولاء له (متى ١٠: ٣٢ و٣٣).

ثالثاً، كلام يسوع بانه ابن الله (راجع متى ١٠: ٣٢ و٣٣؛ لوقا ١٠: ٢٢) يدل على انه يصف نفسه بوعي انه «ابن داود» الموعود به كما ورد في الأصحاح ٧ من سفر صموئيل الثاني، عندما وعد الله ببناء «بيت» داود. كان الله قد قال أيضاً: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. ...» (٢ صموئيل ٧: ١٤). الادعاء بانه ابن الله يعادل الادعاء بانه المسيا[٥].

---

[٥] ورد في كتاب كرايج أي إيفاس {«Craig A. Evans»} بعنوان «Fabricating Jesus: How Modern Scholars Distort the Gospels»، صفحات ١٩١-١٩٣ ملخص إحصائي لمختلف الألقاب التي أُطْلقت على يسوع في كتاب العهد الجديد.

## مؤشرات أخرى على تعريف يسوع لهويته

تحدث يسوع عن نفسه كمسيا إسرائيل وابن الإنسان وابن الله. ماذا قال أيضاً مما قد يزيد فهمنا عما كان يعتبر نفسه؟

ميزة خاصة لتعاليم يسوع كما وردت في إنجيل يوحنا (٥: ١٩، ٢٥؛ ٦: ٢٦، ٤٧، ٥٣؛ ٨: ٣٤، ٥٨) هي الطريقة التي استهل بها بعض من أقواله العميقة بعبارة «الحق الحق أقول لكم ...». تشير هذه العبارة إلى كلام بذو سلطان عظيم، سلطان متضمن بشخصية المتحدث نفسه. انها تدل على أن يسوع كان يرى تعاليمه بانه كان بها خاصية موثوق بها ذاتياً: لم يكن عليه أن يقتبس من الآخرين، بل «اقتبس من نفسه». إن لم يكن يسوع ما قال انه هو، إذن انه كان إنساناً متكبراً بطريقة غير عادية.

هناك كلام آخر مذهل تكلم به يسوع في إنجيل لوقا ٦: ١-٥. كان يسوع وتلاميذه يمرون من خلال حقل القمح في يوم السبت. وكان تلاميذه جياع، فبدأوا يقطفون السنابل، يفركونها ثم يأكلون. كان الفريسيون الذين يرون أنفسهم كحُراس الناموس يعتبرون ذلك «عملاً». فانتقدوا يسوع وأتباعه. أجاب يسوع على انتقادهم له بإجابة ثنائية. (١) أشار إلى انهم لم يعرفوا الأسفار المقدسة معرفة جيدة، لأن في العهد القديم سمح داود لرجاله بان يفعلوا شيء «غير مُحَلَّل» بهذا القدر في بيت الله في نوب. عندما كان داود هارباً من الملك شاول، أكل «خبز التقدمة» وكان ذلك خبز مقدس يُحْفَظ كتقدمة لله. كان ذلك سبب مناسب لـ«إنتهاك» شرائع السبت عندما تتطلب ذلك حاجة الإنسان. (٢) قال يسوع شيء قد يكون مثل تجديف في مسمعهم: «إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا». أي بعبارة أخرى، قال يسوع أن له سلطان واحد من أقدس الأنظمة الإسرائيلية. بما أن السبت كان نظام إلهي أسسه الله نفسه، يكون هذا إدعاء بألوهية لا لبس فيه.

وبالمثل، كان «تطهير» يسوع للهيكل («مثل» آخر «بالعمل») هو أساساً التعبير بالسلطان عليه. لم يطهر يسوع ذلك البيت المقدس من أجل إستخدام أفضل في المستقبل؛ بل كان يعلن دينونة إلهية على النظام الذي كان يمثله. ليس من المدهش أبداً أن رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ طالبوه قائلين «قُلْ لَنَا: بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا؟ أَوْ مَنْ هُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ؟» (لوقا ٢٠: ٢). من يؤمن بانه يعمل بسلطان إلهي هو وحده الذي يحاول أن يعمل شيء مثل هذا.

لننظر في مثال واحد أخير. في الأصحاح ٨ من إنجيل يوحنا، أساء اليهود ليسوع إذ اتهموه بان به شيطان وانه سامري (يوحنا ٨: ٤٨)، واتهمهم بانهم يتصرفون باسلوب أبيهم إبليس. وأخيراً اعتمدوا في دفاعهم عن أنفسهم على علاقتهم مع «أبينَا إِبْرَاهِيمَ» (الآية ٨: ٥٣). أجاب يسوع وقال: «أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (٨: ٥٦). أدى هذا إلى سؤال مدهش: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» ثم أجاب يسوع بشيء جعلهم يلتقطون الحجارة ويريدون قتله: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (٨: ٥٨). يجب أن نقول شيئين هامين هنا. (١) قال يسوع انه كان موجوداً قبل إبراهيم، أي قال عملياً انه كان إله. (٢) أنهى جملته بعبارة «إيقو إيمي Ἐγώ εἰμι». كان ذلك الكلام بالنسبة لأي يهود يعرف الأسفار المقدسة تذكاراً لما قال الله لموسى عند العليقة المتقدة (خروج ٣). عندما سأل موسى الرب الذي كان يرسله ليطالب بإفراج فرعون للإسرائيليين، قال له الله: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ» {«ومعناه أنا الذي هو أنا، أو أنا الكائن»[٦]}. وأصبحت العبارة «أنا هو» اسم العهد الذي كان الله معروف به لشعبه. لا عجب أن اليهود فكروا برجم يسوع عندما قال: «أنا كائن»! إما كان ذلك حقيقة عميقة أو تجديف.

## الخلاصة

قد يبدو السؤال «من قال يسوع انه هو؟» كسؤال بسيط، ولكن الإجابة عليه معقدة جداً. كان يسوع يؤمن انه مسيا إسرائيل، ابن الإنسان العجيب، وابن الله. حتى الذين لم يصدقوا كل هذا ما قاله عن نفسه يجب أن يعترفوا بانه قال ذلك عن نفسه. ومن ثم ينبغي أن نطرح السؤال الذي طرحه تلاميذه من قبل: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» (متى ١٦: ١٥).

---

[٦] راجع ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠